س- عارف بيك إذا ممكن بحكم هالعمر الطويل، وإن شاء الله تعمر أكثر إلى المية، إنك تخبرنا عن هالمراحل الأولى من حياتك في أوائل القرن العشرين، من اجتماعية، من عائلية، من سياسية، وإذا أمكن وصف دقيق لها النهاية هالعهد المتصرفية هيدي كيف عشته واختبرته حضرتك؟

ج- عما مر علي أو عما أعرفه في هذا الموضوع؟

س- الاثنين.

ج- فإذا كان عما أعرفه، فأضطر أن أعود إلى شيء عن وجود المتصرفية اللبنانية. قلنا قبل أن نبدأ بالتسجيل، أن الحوادث التي وقعت في لبنان لم تكن حوادث طائفية بالمعنى الصحيح وإن لبست هذا الدور. الذي يثور المحروم أو المحكوم أو المظلوم. فالدروز في هذه المنطقة من لبنان التي كانت تعرف باسمهم، كان يقال جبل الدروز، وكان يقال أمير الدروز ولو لم يكن منهم، وكان يقال الجيش الدرزي، إذا رجعت إلى تاريخ الأمير حيدر الشهابي، على تعصبه الشديد، ترى في كتابه "تاريخ لبنان" وفي تاريخ الجزار الصراحة التامة عن هذا. فالدروز كانوا يملكون هذا الجبل، هذا الجزء من الجبل الذي كان يعرف جبل الدروز واليوم يعرف بقضاء الشوف وقضاء عاليه وقضاء جزين. ولكن الدروز لا يصلحون لإعمار الأرض، ليسوا من أرباب الصناعة، ولا من أرباب الزراعة، ولا من أصحاب التجارة، كانوا يترفعون عنها حتى ينشدون في مجتمعاتهم: يا شيخ ما نحن تجار ولا بياعين عطار، يالله يزلغط البارود لنشد على ... فقوم كهؤلاء لا يصلحون لإعمار الأرض، احتاجوا إلى من يعمرها، لذلك فتحوا أبوابهم إلى إخواننا المسيحيين وبنوع أخص إلى الموارنة. فجاءوا بنوع خاص من كسروان ومن الشمال، وجاء قسم من الداخل من حوران. عاشوا مكرمين معززين، أذكر لك من قبيل التذكير لا من قبيل التحديد، دير المخلص ساعد في بنائه بنو جنبلاط، وكنيسة المختارة ساعد في بنائها إبن جنبلاط، ودير الناعمة كمان عاون في بنائه النكدي، ودير المخلص عاون في بنائه ووهب أرضه إبن تلحوق، وفي المتن أربعة أديرة وكنائس بناها بنو اللمع يوم كانوا على التوحيد. أما ما ذكرته من دير مشموشة فهذا أرض كانت لبني هرموش باعوها بخمس وهبوها إلى المطران بولس عواد، والمطران بولس عواد باعها من طائفته بمال، بخمس ليرات. الدرزي وهبها هبة والرئيس الماروني باعها بيعا. ذكرتني فيها فهي مسائل تدل أنه لم يكن هناك تعصب، ولكن هؤلاء الطالبون كثر عددهم واشتغلوا في الأمور الحيوية في التجارة والزراعة الصناعة كما قلنا، كانوا قلائل فكثروا، وكانوا ضعاف فقووا، وكانوا فقراء فاغتنوا، فصار الزعيم الدرزي إذا احتاج إلى المال يستدين من المسيحي، والمال كان عزيزا. أضرب لك مثلا: احتاج الأمير يوسف إلى سفرة سياسية إلى دمشق يبعث بها وفدا لضم شمال لبنان إلى جنوبه، هناك نقطة اسمها المعاملتين تذكرون هي ملتقى معاملة الشمال ومعاملة الجنوب، كانت الشمال منقسمة وكان الجنوب في يد الأمير الشهابي، ولكن سفرة مثل هذا تحتاج إلى مال، تحتاج إلى كيس خمس مية قرش، خمس ليرات. كان على رأس الوفد الشيخ خليف النكدي جدنا والشيخ سعد الخوري جد حبيب باشا السعد. فاستدان، لا أذكر تماما من هو، استدان من الشيخ يعقوب البيطار من كسروان هذا الكيس حتى ذهبا وأمنا للأمير يوسف وحدة لبنان شماله إلى جنوبه. إذا عدنا إلى حديثنا، نقول الماروني الذي كثر عدده وارتفع شأنه وكثر ماله، كان يصعب عليه أن يبقى محكوما للدرزي. كان إبن جنبلاط يحكم، لا أقول يحكم يعني ما فيكش تقول في حاكم، كان له إقطاع الشوفين ويدخل فيهما ثلثين إقليم الخروب وجزين بأسرها والأكثرية الكبرى هي موارنة. وكان إبن عماد له إقطاع العرقوب الذي صار فيما بعد العرقوبين العرقوب الجنوبي والشمالي، والأكثرية الكبرى موارنة. وكان أبو بكر إقطاعه دير الناصية والشحار، والناصية قاعدته دير القمر والشحار قاعدته عبيه، وله ثلث إقليم الخروب، والأكثرية الكبرى الساحقة موارنة. وكان إبن تلحوق اقطاعه الغرب الأعلى الذي صار فيما بعد الغرب الجنوبي والغرب الشمالي، وأكثريته الكبرى الموارنة أيضا، فإذا كان يرض، فإذا رضي كما كانت تقول حتى نساء دير القمر، إذا رضي آباءنا معكم على هذا فنحن لا نرضى، وإلا الدرزي لم يكن مدفوعا ولا كان من مصلحته أن تقع الحوادث لأنها سلبته ما يتمتع به من امتياز. وأعطيك دليلا على هذا، سعيد بيك جنبلاط الرجل المسئول في الطائفة الدرزية، يوم جاءوا إليه يكلفون السير أمامه، لأن الدروز لا تسير إلا إذا سار عقيدهم على رأسهم كالحالات السابقة، فقال لهم: هذه ليست من مصلحتنا وستحرمنا كثيرا مما نتمتع به فأبى فأجبروه على السير، ومثل ذلك فعلوا برجل عمنا اسمه قاسم بيك فقالوا له: حرقوا لك كفر حمل وكفر حمل قرية إلى جانب دير القمر كانت تعز عليه، فركب ولما رآها غير محروقة أراد أن يرجع فقالوا له: لا، لا بد فقال لهم: لكم يوم

تحت دخان البارود ولكن العافية علينا. فالزعماء الدروز كل منهم كان ضد هذه الحادثات، ولكن الدرزي وجد نفسه في مأزق لا يستطيع أن يخرج منه. كان إذا ذهب إلى صيدا الساحل مسيحي لا يستطيع أن يجتازه إلى المدينة التي يقصدها، وإذا أراد أن يذهب إلى بيروت وقع له الأمر نفسه، وهم، ثم وقع حادثات لعلك إذا رجعت إلى كتاب "مواطنكم" للدكتور شيخ الخوري في مجمع المسرات تجد أشياء تدل على الحوادث التي تقع. فهالمسائل ما جرت بعامل الدين وإن لبست كما قلنا ثوبا دينيا جرت بعامل الطبقة مع أكثرية محكومة وأقلية حاكمة، والأقلية لا تتمتع بالصفات التي كانت تتمتع بها من قبل تمكنها من الاستمرار في ذلك. هذا إلى جانب ما قام في كسروان بين الماروني والماروني. وإذا رجعتم وأنتم ... وانت إبن كسروان، إلى "المقاطعة الكسروانية"، وهي كتاب ألفه أحد الكهنة الحتوني، يقول لك: الذي حرك في تسعة وخمسين ما بين الشعب الماروني ومشيخة الموارنة كان البطرك بولس مسعد، واسمح لي ونحن حديثنا من كل وادي عصا أن أقول لك أن الشيخ الخازن كان يتمتع بنفوذ كما يتمتع كل إقطاعي في ذلك العصر، وقد يكون زاد عليه في اعتداءات لا أحب أن أذكرها ولكن من قرأ التاريخ يعرفها. كان البطرك إذا صار بطركا أرسل الشيخ الخازني سلعة يلبسها. البطرك بولس مسعد يوم تزوجت والدته لبست طنطورا عاليا لم يكن من حق العوام أن تلبسه، ودخلت كنيسة غوسطة وعلى رأسها هذا الطنطور العظيم، فأغضب ذلك إحدى السيدات الخازنيات فخلعت نعلها وضربت عليه تقول: إذا لبستم هذا فأي شيء تبقونه لنا؟ هذه حادثة مشهورة وبلغت، طبعا مع الأيام، هذا المولود الذي ولد من هذه المرأة التي أهينت، وبدأ يرتفع ويرتفع إلى أن أصبح بطركا. ولما أصبح في مقام بطركية أرسلت له الخلعة التي كان من عادة إبن الخازن يرسلها إلى البطرك، والبطرك علقها في الوتد، لم يكن في ذلك الحين المشجب والشجاب أو التعليقة و"البورت شابو"، كان في وتد علقها في الوتد. وحرك مطانيوس شاهين البطل الشهير الذي صار صاحب الجمهورية اليوم فبدأ يعتد، كان مكار، لا يمس ولا يطعن في كرامة شخص أن يكون مكاري لكن هذا الرجل كان بعيدا جدا بحكم التفكير عن الجمهورية و هالأشياء اللي عم بيركبوا له هي ... فحرك بطرس مطانيوس شاهين رجل قوي مستعد قام عليه شيخ يعتدي عليه فهرب الشيخ صاحب الخلعة والتجأ إلى البطرك، فلم يجد البطرك على أن حمل الخلعة وألبسه إياها، ألبسه خلعته. فهذه الحادثة كانت من جملة العوامل التي شجعت على القيام بالثورة في الشوف. ولكن السياسة المارونية أخطأت عوضا أن تتجه ضد المشيخة الدرزية اتجهت ضد الدروز عموما. فاعتصب العامة مع المشيخة وحملوهم، كما قلنا، على قتال أو حوادث كانوا هم بعيدون عنها ولم يكن من مصلحتهم أن تكون. هذه هي العوامل الداخلية الأساسية، فهذه الحوادث لو لم تقع في سنة الستين لكان يجب أن تقع السبعين أو التمانين أو التسعين فهي ... ليست أشياء عارضة وكذا، أما العوامل الخارجية فتعود إلى الحكم المصري. الحكم المصري سوى بين المسيحيين والمسلمين، فشعر المسيحيون أن لهم وجود ولهم كيان وأصبح يكون البيك مثلا يوسف بيك صعب أو بو صعب أو غندور بيك الخوري، نحن كذلك لنا حقوق في هذه البلاد ويجب أن نتمتع بها، وصارت الضرائب تشمل الدرزي والماروني، ما عاد لو ذاكرتي أقوى من هيك كنت بوجد لك القوال الأقوال يقول: عندما يفرق الحاكم يأخذ الضريبة من جماعة ولا يأخذها من آخرين، في أقوال هيك ذهبت عن بالي هلق ما مستعد لو عرفت موضوعك لهيئت لك ياه. النتيجة العامل المصري اللي رفع الغشاوة عن أعين المسيحيين، الدسائس الأجنبية تركيا وفرنسا وإنكلترة، تركيا تريد أن ننتهي من هذا الامتياز الذي كان يتمتع به لبنان وهو في قلب الدولة العثمانية، وفرنسا تريد أن تضع يدها على البلاد، ومن مطامحها أن تجعل من سوريا ولاية أو ما يشبه دية مصر وتعطيها لعبد القادر الجزائري. كان عبد القادر الجزائري عدوها ومحاربها من قبل، ثم عاد صديقها تجري عليه مرتبات شديدة، وأخلص لها وأحبته، أقول أخلص لها وأحبته، السياسي لا يخلص ... وأرسل في الحملة حملة الستين الحملة الأوروبية، كانت حملة فرنساوية ولكن الفرنساويين، الذين أقول لك اليوم وقد انصرفوا عن البلاد نحبهم، لأنهم ما عادوا في البلاد، لو كانوا في البلاد ما نحبهم، أرسلت قائد اسمه بوفور، وهذا أخطأ في السياسة. أولا خطأ للحملة، إنكلترة عوضا أن ترسل وفي ذلك الحين لم يكن عندها جيش نظامي جيش كان متطوعين، ففرنسا تهوسا منها، أرسلت الحملة بإسم أوروبا بدلا من أن ترسل بإسم فرنسا، وقعت بفخ ما أدركته ... لاقت الأمر بإسم أوروبا كذا عظيم ولكنه خطأ سياسي، كان لو كانت الحملة بإسمها وحدها لكانت توفقت أكثر ولكان لها حق أكثر. بوفور أعطي تعليمات أن يصانع الدروز ويتساهل معهم ورمته تركيا برجل اسمه فؤاد باشا داهية ... لا يخيل لكم كان في الفترة الأخيرة قبل الدستور العثماني في الشام رجل اسمه فؤاد باشا ذلك فؤاد هيدا غيره آخر. هذا فؤاد باشا الذي كان سنة الستين داهية من دواهي العالم لا من دواهي الدولة العثمانية.